﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [التحريم: 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

التَّمثيل لحال المؤمنين بعد ذِكْرِ المِثال على حال الكافرين

لمّا مثّل النَّظم الكريم حال الكافرين بامرأتي نوح ولوط، في أنَّهما لم تنتفعا بصلاح زوجيهما، لبيان أنَّ صلةَ الصّالحين لا تُغني عن الكافر شيئًا - أتبعه بالتَّمثيل لحال المؤمنين بامرأة فرعون في أنَّها لم تَضُرَّها صلةُ الكافر، وجوزيتْ على حسب إخلاصها وإيمانها[1].

إتباع الإنذار بالتَّبشير ترغيبٌ، وتثبيتٌ

فالآية مثلٌ للبشارة بأنَّ عصيان العاصي لا يضرُّ المطيع، كما كانت الآية السّابقة مثلًا للنَّذارة بأنَّ طاعة المطيع لا تنفع العاصي وإنْ كان أقربَ النّاس إلى المطيع؛ إلّا إنْ كان له أساسٌ يصحُّ البناء عليه، ويجوز الاعتداد به[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَنَجِّنِي﴾: أصْلُ الإنجاءِ: الخَلاصُ مِنَ الشَّيْءِ، نَجا يَنْجو نَجْوًا ونَجاءً، مَمْدودٌ، ونَجاةً، مَقْصورٌ، وأنْجَيْتُ غيري، ونجَّيْتُه، واستَنْجى مِنْهُ حاجَتَهُ: تخَلَّصها، وانْتَجَى مَتاعَه: تَخلَّصه وسَلبَه، ومعنى نجَوْتُ الشَّيءَ: خَلَّصتُه وألْقَيْتُه، والنَّجاةُ: الخلاصُ مِنْ ضُرٍّ واقِعٍ، والنَّجْوَةُ والنَّجاةُ: ما ارتفَع مِنَ الأرض، فَلَمْ يَعْلُه السَّيلُ، فَظَنَنْتَهُ نَجاءَك، والجَمْعُ نجاءٌ[3]. والمقصود بالإنجاء في الآية: خَلِّصني وأنقذني منه[4].

(1) زاده، حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي: 8/ 264.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 20/ 210.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (نجو).
(4) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 116، وابن كثير، تفسير ابن كثير: 8/ 172.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اتّصال المؤمن بالكافر لا يَضُرّه إذا أدّى ما عليه من الإيمان والطّاعة

ضَرَبَ اللّه تعالى مثلًا آخر يُبيِّن فيه أنَّ اتّصال المؤمن بالكافر لا يَضُرّه إذا أدّى ما عليه من الإيمان والطّاعة، فيمثّل بالمرأة الصّالحة في بيت الطّاغية فرعون، فجَعَل اللّهُ مَثَلًا للَّذين آمَنوا امرأةَ فِرعَونَ؛ إذ نادت ربَّها مخلصةً: يا ربِّ ابنِ لي في جِوارِك بَيتًا في الجنَّةِ، ثُمَّ سألت نجاتها من قبضة الطُّغيان، فقالت: وخَلِّصْني مِن صُحْبةِ فِرعَونَ وتَسَلُّطِه، ومِن كُفْرِه وضَلالِه، وخَلِّصْني مِن قَومِ فِرعَونَ المُشرِكينَ، فَدلَّ بذلك على أنَّ الإيمان الخالص يُنجي صاحبه، ولو كان في أحلك المواطن، وتحت سلطان أعتى الطُّغاة[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتة عطف الآية على سابقتها:

لا تنفع القرابة مع الخيانة، ولا المُعاشرة مع الإيمان

لمّا ضرب اللّه مثلًا للَّذين كفروا بامرأتَيْ نوح ولوط، أتْبَع ذلك بمثلٍ للَّذين آمنوا، استكمالًا للصّورة وتوضيحًا للمفارقة بَيْنَ الحالين، وتوكيدًا للميزان الحَقِّ في الجزاء، فمثّل بامرأة فرعون ليبيّن أنَّ الإيمان الخالص يُنقذ صاحبه، وإن عاش في مواطن الكفر، كما أنَّ الكُفر يُهلك صاحبه، ولو عاش في بيت النُّبوَّة، فكما لم تنفع القرابة مع الخيانة، لم تنفع المُعاشرة مع المؤمن، وجاء ذلك على عادة القرآن في الجمع بَيْنَ التَّرهيب والتَّرغيب، لتمام البيان وكمال الهداية[2].

نكتة تقديم ضرب المثل للَّذين كفروا على الَّذين آمنوا:

قدَّم اللّه تعالى ضرب المثل للَّذين كفروا على مثل الَّذين آمنوا؛ لأنَّ المقام مقام تحذير وتخويف؛ إذِ السّورة جاءت في وعظ نساء

(1) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 116، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 203، وابن كثير، تفسير ابن كثير: 8/ 172، والسَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمان، ص: 875.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 376.

النَّبيِّ ﷺ، تضمّن تمثيلًا ضربه الله تحذيرًا لعائشة وحفصة ﷺ؛ ليُبصّرهما بعاقبة مخالفة من سبقهما من نساء الأنبياء، ممَّن لم ينفعهنّ قربهنّ من الصّالحين. ثُمَّ أعقَب ذلك بمثل آخر بامرأة فرعون ومريم بنت عمران، ترغيبًا لهما في التَّمسُّك بالطّاعة والثَّبات على الإيمان[1]، فناسب البداءة بالتَّرهيب؛ ليكون أوقع في النَّفس، ولأنَّ النُّفوس ترقُّ بعد التَّهديد، فيحسن أن يُتبع بالبشارة، فجاء ضرب المثل بالمؤمنين بعدها ترغيبًا وتثبيتًا، وعلى ذلك جرى أسلوب القرآن في كثير من المواضع: تقديم الوعيد ليليّنه الوعد، فيكتمل أثر التَّوجيه.

البداءة بالتَّرهيب ليكون أوقع في النَّفس، ولأنَّ النُّفوس ترقُّ بعد التَّهديد

بلاغة المُقابلة بين المَثَلَيْن المضروبَيْن:

لمّا ضُرب المثل للَّذين كفروا، أعقبه النَّظم الحكيم بمثلٍ للَّذين آمنوا، تحقيقًا للمُقابلة، وتكميلًا للبيان؛ ليُفهم من الثّاني ما يُقابل مضمون الأوَّل؛ فكما أنَّ الكافر لا تنفعه صُحبة المؤمن، ولو كان نبيًّا، كذلك المؤمن لا يضرّه أن يعاشر الكافر، ما دام ثابتًا على إيمانه. فاجتمعت في المَثَلَيْن حكمة التَّحذير والتَّبشير، في توازن بليغ يهدي القلوب ويوقظ البصائر، وقد أبان النَّظم الكريم عرض المثلين بأسلوب المقابلة؛ لما فيه من إبراز التَّباين بين الكفر والإيمان، والتَّحذير والتَّرغيب، فجاء مَثَلُ الكافرتين أوَّلًا مناسبةً لسياق التَّوبيخ، وتشويقًا لبيان حال المؤمنتين، ثُمَّ خُتم بالمثلين الإيمانيَّين ترغيبًا في الطّاعة والثَّبات، فتجلّت المقابلة في أبهى صورها: تقبيحًا للخيانة، وتعظيمًا للإيمان والإخلاص، مع تخصيص كُلِّ حال بما يليق به من بيانٍ يوقظ القلب، ويهدي العقل[2].

اجتماع حكمة التَّحذير والتَّبشير في المثلين

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 202، وابن عادل، اللُّباب: 19/ 217.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 376، والشنقيطي، أضواء البيان: 8/ 225.

سِرُّ تكرار ذكر الأمثال عن علاقة النِّكاح في الآيتين الكريمتين:

توجيه الخطاب إلى أمَّهات المؤمنين، بتحذيرهن من التَّظاهر على رسول الله ﷺ

تكرار ضرب الأمثال في ختام السّورة جاء لتوكيد المقصود من سياقها، وهو توجيه الخطاب إلى أمَّهات المؤمنين، بتحذيرهن من التَّظاهر على رسول الله ﷺ، وأنَّهنَّ إن لم يمتثلن أمر الله ورسوله، ويُخلصن القصد إلى الدّار الآخرة، لم يَنفَعْهنَّ اتِّصالُهنَّ برَسولِ اللهِ ﷺ، كما لم تنفع امرأةَ نوح ولا امرأةَ لوط صِلَتُهما بِنَبيَّيْنِ كريمين؛ لذلك خُصَّ في هذه السّورة ضرب المثل بعلاقة النِّكاح دون القرابة[1].

نكتة إسناد ضرب المثل إلى لفظ الجلالة:

إسناد الفعل (ضرب) إلى اسم الجلالة يُضفي على المثل جلالًا وهيبةً، فيُستقبل بعين التَّعظيم وكمال التَّلقّي[2]. للإشارة إلى ما يحمله هذا الاسم من جلال وهيبة وتعظيم.

سرُّ تنكير ﴿مَثَلًا﴾ وتقديمه في موقعه الإعرابيّ:

التَّنكير للتَّفخيم والتَّهويل، ولإثارة التَّرقُّب والاهتمام

تنكير لفظ ﴿مَثَلًا﴾ مع تقديمه على مفعوله الثّاني جاء للتَّفخيم والتَّهويل، ولإثارة التَّرقُّب والاهتمام، فجاء النَّظم على أسلوب عربيٍّ رفيع يُقصد به تعظيم المثل ولفت الانتباه إلى ما فيه من عِظة وعبرة[3].

معنى اللّام وسِرُّ تعدية الفعل (ضَرَبَ) بها في ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

الإشعار بأنَّ هذا المثل إنَّما سيق من أجل أن يعتبر أهل الإيمان

إنَّ تعدية الفعل (ضرب) بحرف اللّام في قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ تَدلُّ على أنَّ هذا المثل قد سيق لخصوص المؤمنين؛ قصدًا لإرشادهم، وتنبيههم على ما ينبغي أن يكونوا عليه من صدق الإيمان وثبات الطّاعة والصَّبر في الشِّدَّة؛ ليقيسوا حالهم على حال من ضُرب بها المثل، كامرأة فرعون ومريم، فيتأسّوا بهما، ويوقنوا أنَّ الإخلاص ينفع، ولو مع الإقامة في وسط قوم كافرين[4].

(1) ابن القيم، إعلام الموقعين: 1/ 145.
(2) سبق تفصيل النكتة البلاغية في الآية السابقة.
(3) سبق تفصيل النكتة البلاغية في الآية السابقة.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 202، وابن كثير، تفسير ابن كثير: 8/ 172، والشَّوكاني، فتح القدير: 5/ 305.

دلالة تقديم الجارّ والمجرور:

في تقديم الجار والمجرور ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على المفعول به ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾، لَفْتٌ لأنظار المؤمنين، وتنبيهٌ لهم على وجه الخصوص، بأنّ هذا المثل قد خُصّوا به؛ لا ليُذكر عَرَضًا، بل ليكون موضع تدبّر واعتبار، يحثّهم على الاقتداء، ويُثبّت قلوبهم على الطّاعة في وجه الفتنة والمحنة.

الاهتمام بإيقاظ همم أهل الإيمان وتثبيتهم عند الفتنة والامتحان

نكتة التَّعبير بالفعل الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾:

جاء التَّعبير بالفعل الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾ للدَّلالة على تحقُّق الإيمان فيهم، ولو كان في أدنى درجاته[1]، إشارة إلى أنَّ المثل مضروبٌ لكلّ من دخل دائرة الإيمان، كائنًا من كان، وأنَّ أدنى مراتب الإيمان إذا اقترنت بالإخلاص والثَّبات، كانت سببًا للنَّجاة والرِّفعة.

الإشارة إلى تحقّق الإيمان فيهم وأنَّ المثل مضروب لكلّ من دخل دائرة الإيمان

دلالة ذكر المرأة مضافة إلى فرعون:

في إضافة المرأة إلى فرعون تنبيهٌ على أنَّ صِلَةَ المؤمن بالكافر لا تضرّه إذا خالفه في دينه وسلوكه، فمع كون فرعون من أعتى الكافرين، لم يَضُرَّ امرأته انتسابُها إليه، لما تميَّزت به من إيمان خالص وعمل صالح، فالعبرة ليست بالنَّسب ولا بالعِشرة، بل بالإيمان والعمل[2].

التَّنبيه على أنَّ صِلَةَ المؤمن بالكافر لا تضرّه إذا خالفه في دينه وسلوكه

الموقع النّحويّ لـ﴿إِذۡ﴾ ودلالتها في الجملة الكريمة:

قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتۡ﴾ ظرف للمثل المحذوف، أي: ضرب الله مثلا للمؤمنين حالَها حين قالت ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾، وذلك أنَّ فرعون لما تبيّن له إسلامها أمر أن توتَدَ يداها ورجلاها بأربعة أوتاد، وأُلقيَ بها في حرِّ الشّمس تعذيبًا وتنكيلًا، فكانت تُعذَّب في الهجير، فجُعِلَ حالُ امرأة فرعون ودعاؤُها مثلًا للمؤمنين؛

حال امرأة فرعون ووقتُ قولها مشهدٌ يُضرَب به المثل في الإخلاص واليقين

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 210.

(2) ابن القيم، إعلام الموقعين: 1/ 145، والرّازي، تفسير الفخر الرّازي: 30/ 576، والسَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمان، ص: 874.

إذ تجلَّى فيها كمال الإيمان حين نطقتْ بدعائها في ذروة المحنة، فثبتتْ على الحقِّ بعدما تَبَيَّن لها، ولم تردّها عنه أهوال البطش ولا عذاب الأوتاد، فصار وقتُ قولها مشهدًا يُضرَب به المثل في الصِّدق والإخلاص واليقين[1].

فائدة النِّداء بلفظ الرُّبوبيَّة والإضافة فيه:

عنوان الرُّبوبيَّة فيه معاني الإحسان والرِّعاية والتَّدبير، وكفاية الحاجة

في قولها: ﴿رَبِّ﴾ نداءٌ للمُحسن المُنعم عليها بالهداية، واختيارها اسم (الرَّبِّ) دون غيره يكشف عن ثقتها العميقة في رحمته وعنايته، لما يحمله هذا الاسم من معاني الرِّعاية والتَّدبير، وكفاية الحاجة، ودفع الضُّرِّ، والحماية من الظّالمين والمُستكبرين[2].

الدَّلالة على افتقارِ الصّادق، واستعطاف الواثق

وفي إضافتها ﴿رَبِّ﴾ إلى ضميرها إعلانُ افتقارٍ صادق، واستعطافٌ ظاهر تُصرّح فيه بأنها لا ملجأ لها سواه، ولا راعيَ لها غيره، فالإضافة تفيد الخصوصيَّة، وتكشف شدّة تعلُّقها به دون سواه[3].

فائدة القيد بالظّرف ﴿عِندَكَ﴾:

المقام في الجَنَّة لا يُؤنس إلّا بجوار الرَّحمان

في قولها: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ قدَّمت طلب القُرب من الله على طلب الجنَّة؛ إذ لم يكن غرضها نعيم الجنَّة حسبُ، بل القصد الأعظم أن يكون مَسكنها (عند ربِّها)؛ إذ الجار قبل الدّار، والمقام في الجَنَّة لا يُؤنس إلّا بجوار الرَّحمان[4].

بلاغة الإطناب، والإدماج في القيد ﴿فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾:

منازل المصطفَين عند الرَّحمان أسمى مراتب القُرب

طلبت المرأة الصّالحة القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه ما يُسمّى بالبلاغة العربيَّة بالإطناب؛ إذ حدَّدت موضع هذا

(1) المظهري، التَّفسير المظهري: 9/ 347، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 69، والطنطاوي، التَّفسير الوسيط: 14/ 483.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 211، والشِّربيني، تفسير الخطيب الشربيني: 4/ 364، وصبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2191.

(3) صبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2191.

(4) ابن القيِّم، الفوائد، ص: 197، وابن كثير، تفسير ابن كثير: 8/ 172.

القرب بقولها: ﴿فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾، وفي قولها تلميحٌ إلى أنَّها لا تطلب مُجرَّد النَّجاة، بل ترجو أرفع درجات الجنَّة، وأن تكون جنَّتُها من الجنان الَّتي هي أقرب إلى العرش، وهي جنّات المأوى، فعبّرت عن ذلك بعبارة ﴿عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ لتُفصح عن رغبتها في أسمى مراتب القرب في منازل المَصْطَفَيْنَ عند الرَّحمان[1]؛ إذ إنّ القرب له مراتب لا تنحصر، فأدمجت بقولها: ﴿عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾، تعني: أعلى المراتب وأقربها عند الله[2].

بلاغة الاحتباك بَيْنَ هذه الآية وسابقتها:

شتّان ما بَيْنَ مَن آثرت القُرب من الله على نعيم الدُّنيا، وبين من آثرت الدُّنيا برغم صحبتها للصّالحين

يمكن أن يكون في هذه الآية وسابقتها احتباكٌ بديع: حُذِف من الأولى طلب الجنَّة لدلالة الثّانية عليه؛ إذ لم تذكر امرأتا نوح ولوط دعاء ولا رغبة في الآخرة، وحُذف من الثّانية كونها تحت كافر لدلالة الأولى عليه، فاستُغني في كلٍّ موضع بما ذُكر عمّا حُذف، فجاء الكلام مُحكمًا موزونًا، يُبيِّن المُفارقة بَيْنَ من آثرت القُرب من الله على القصور، وبين من آثرت الدُّنيا برغم صحبتها للصّالحين، فبلغ التَّعبير بذلك غاية الإيجاز والإعجاز[3].

بلاغة تقديم طلب القرب على الإنجاء:

الإشارة إلى أنَّ شرف المقام عند الله أسمى في نظرها من ألم العذاب

في تقديمها طلب القُرب ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ على دعائها بالنَّجاة من فرعون وقومه، دلالةٌ على أنَّ شرف المقام عند الله أسمى في نظرها من ألم العذاب، وأنَّ أُنس الجوار الإلهيِّ أحبُّ إليها من راحة البدن وسلامة الجسد، فكأنَّها استهانت بما تلقى من البلاء في الدُّنيا، طَمَعًا في نيل المقام الرَّفيع في الآخرة، وهذا هو الإخلاص في أرقى صوره[4].

(1) الزَّمخشري، الكَشّاف: 4/ 572، والرّازي، تفسير الفخر الرّازي: 30/ 575.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 15/ 519.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 212.
(4) صبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2191.

نُكتة عَطْفِ عَمَلِ فرعون على فرعون نفسِه:

نفحات القرب من الحبيب توجبُ البعد عن أعدائه

أردفتِ امرأة فرعونَ طلبها القرب من رحمة الله بقولها: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾، الطَّلب بالبعد من أعدائه بقولها: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾[1]؛ إذ إنّ نفحات القرب من الحبيب توجبُ البعد عن أعدائه.

الإشارة البليغة توقِظ أزواجَ النَّبيِّ ﷺ، وسائر المؤمنات إلى عِظم نعمة الله عليهنَّ

ثمَّ إنّ في ضراعة المرأة الصّالحة بطلب النَّجاة من فرعون وأعماله الكافرة الطّاغية، بعد طلبها القرب من الله، ومجيء ذلك في سياق سورة (التَّحريم)، إشارةٌ بليغة توقِظ أزواجَ النَّبيِّ ﷺ، وسائر المؤمنات إلى عِظم نعمة الله عليهن، بأنَّ جعلهنَّ في عصمة رجال مؤمنين صالحين مُقسطين، يُحسنون إليهن ويُعاونونهنَّ على الطّاعة، فتلك النِّعمة وحدها كافية أن تُقابل بشُكر حسن التَّبعُّل، والمُساندة، والتَّأييد في تبليغ دعوة الله[2].

سِرُّ الجمع بين طلب الإنجاء من فرعون ومن عمله:

ما يصدر عن فرعون من أفعال الظُّلم والتَّعذيب هو الشَّرُّ الأعظم والبلاء الأشدّ

إنّ المرأة الصّالحة حين قالت: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾، طلبت أوَّلًا النَّجاة من ذاته الخبيثة، وكأنَّ مُجرَّد صحبته بلاءٌ مقيم، ثُمَّ أتبعته بالاستعاذة من عمله، تنبيهًا على أنَّ ما يصدر عنه من أفعال الظُّلم والتَّعذيب هو الشَّرُّ الأعظم والبلاء الأشدّ، فجاء العطف من باب عطف الخاصِّ على العامِّ، لتُفصِح عن فظاعة فعله بعد خبث جوهره؛ لأنَّ ذاته الخبيثة مَعْدِنُ كلِّ شرٍّ، وما ظهر منه من الكفر وعبادة الأصنام والظُّلم نعتان منه، وكأنَّها تُعلن: نجِّني من الطُّغيان في صورتَيْه: شخصًا وسلوكًا[3].

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 15/ 520.
(2) صبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2192.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 15/ 520، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 358، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 377.

نُكتة عطف جملة الدُّعاء بالنَّجاة على ما تَقدَّم:

العطف يوحي بعمق البلاء وشِدَّة الابتلاء

عطفُ جملة: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ على ما تقدّم توحي بعمق البلاء وشِدَّة الابتلاء؛ إذ لم يكن أذى فرعون وحده هو ما تُكابده امرأة فرعون، بل كان معها طوقٌ من الظُّلم يحيطُ بها من قومِهِ الأقباط لا يُعينون على خير، بل يسخرون ويبطشون، فدلَّ العطف على شمول المُعاناة، ووحشة الطَّريق، وتفرّدها في الإيمان، حَتَّى لم يبقَ لها ملاذٌ إلّا ربَّها، تفرُّ إليه وحده، تشتكي بثَّها وحزنها، وتطلب الخلاص من الظّالمين جميعًا، لا من فرعون حسب، وفي ذلك تعليمٌ للمؤمن أنْ يلتجئ إلى الله وحده في الشّدائد، وأنَّ ذلك مِن سُنَنِ الصّالِحينَ والأنبياءِ[1].

سِرُّ تكرار لفظ التَّنجية:

تتابع الهموم على النَّفس المؤمنة، يفتح أبواب الرَّجاء في كُلِّ جِهة

في تكرارِ لفظ (التَّنجية) في دعاء امرأة فرعون دلالةٌ على أنّها تُناجي ربَّها بنداءٍ يتجدّد مع كُلِّ بلاء ينزل بها، ويدخل عليها، فطلبتِ النَّجاة من ذات فرعون لبطشه وجبروته، ثُمَّ من عمله لكفره وطغيانه، ثُمَّ من قومه وحاشيته لظلمهم وإعانتهم لفرعون على ظلمه فهم تابعون له، وهي الأقرب إليهم والمُحاطة بهم. فجاء التَّكرار للتَّفصيل بعد الإجمال، ولإبراز تَعدُّدِ مصادر الخطر وشموليَّته، وللدَّلالة على أنَّ كُلَّ وجه من وجوه الظُّلم يستحقُّ استعاذة مستقلّة، وهو من فنون البلاغة في الدُّعاء، إذ يُحاكي تتابع الهموم على النَّفس المؤمنة، ويفتح أبواب الرَّجاء في كُلِّ جِهة. وفي تكرار الدُّعاء أيضًا تعظيم للرَّجاء، وتوكيد على أنَّ الفَرَج لا يُرتجى إلّا من الله، فكُلَّما تنوَّعت جهات النَّجاة، تنوَّعت معها أبواب الفضل الإلهيِّ[2]؛ قال الحسن البصريُّ: لما دعت

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 216، وصبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2192.

(2) الماتريدي، تأويلات أهل السُّنَّة: 10/ 98، وشحاته، تفسير القرآن الكريم: 28/ 5954.

بالنجاة، نجاها الله تعالى أكرم نجاة، فرفعها إلى الجنة تأكل و تشرب و تتنعَّم[1].

سرّ التَّعبير بالفعل (نَجَّى) دون (أنْجَى):

يشترك فعلا التَّنْجية والإنْجاءِ في التَّخليصِ من المَهْلَكَةِ، ثُمّ يختصُّ الإنجاء بأنَّه الخلاص قبل الوقوعِ في المَهْلَكَة، وتختصُّ التَّنجيةُ بأنَّها الخلاص بعد الوقوع فيها[2]. ومن هنا استعمل الفعل (نجّني)؛ لأنّ دعاء امرأة فرعون كان بعد وقوع العذاب عليها.

ويذكر العلماء فرقًا آخَرَ بين الفعلين في السّياق القرآنيّ؛ وذلك أنَّ الغالبَ استعمالُ (نجَّى) لِما فيه تلبُّثٌ وتمهُّلٌ في التَّنجيةِ، بخلاف (أنجى) فهو لِلْإسْراع فيها، فالإنجاء - على هذا - أسرع مِنَ التَّنجية في التَّخلص من المَهْلَكَةِ[3]. وكأنّ هذه المرأة الصّالحة ما كانت تستعجل الخلاص من الله تأدّبًا ومصابرة على الرَّغم من شدّة العذاب الَّذي تعرّضت له وتَنَوُّعِ مصادره، ومخاطره. وفي هذا أمارةٌ على قوّة إيمانها، وتمام تسليمها، ورضاها بما ابتلاها الله تعالى به.

نكتة وصف القوم بالظّلم:

الإشـــارة إلى عـموم ظلمهم وتنوُّعه

القوم الظالمون، أي: النّاس الأقوياء العريقون في أن يضعوا أعمالهم في غير مواضعها الَّتي أُمروا بوضعها فيها[4]. ودعاء امرأة فرعون: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يتضمَّن إشارة إلى أنَّ ظلم القِبْط كان عامًّا لا يختصُّ بفرعون وحده، ولذلك توسّلت إلى الله أن يُخلّصها منهم جميعًا، لفرط ما كانت تلاقيه من أذاهم، ومنعهم لها من عبادة ربِّها. وفي ذلك تعليمٌ وإرشادٌ إلى أنَّ الالتجاء إلى الله،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 216، والقنوجي، فتح البيان: 14/ 223.
(2) أبو هلال العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة، ص: 77.
(3) فاضل السّامرائيّ، بلاغة الكلمة في التّعبير القرآنيّ، ص: 66 - 71.
(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 211.

وطلب النَّجاة منه، هو خُلق الصّالحينَ، وسُنَّة المرسلين، كما فعل موسى عليه السلام حين قال: ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾ [الشُّعراء: 118]، وكما قال قومه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٦﴾ [يونس: 85 - 86][1].

(1) الدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 10/ 28.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"